

مفاهيم القرآن

(239) إنَّ الموارد التي بايع فيها المسلمون رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم جميعاً أو فرادى، لا تنحصر في هذين الموردين، بل هي أكثر من ذلك، وفي جميع تلك الموارد يبدو جلياً أنَّ المبايعين كانوا - بعد أن يؤمنوا بنبوَّة النبيَّ ويعترفوا بقيادته وزعامته - يصبُّون ما يلزم ذلك الإيمان، من الالتزام بأوامر الرسول وإطاعته في قالب (البيعة)، فكانت البيعة صورةً عمليَّةً للالتزام النفسيَّ بأوامر النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلَّم بعد الإقرار بنبوَّته والاعتراف المسبق بزعامته. ولو أمعن القارئ الكريم في تفاصيل الموارد التي بايع فيها المسلمون كلهم أو بعضهم (النبيَّ) لوجد؛ أنَّ البيعة لم تكن الاعتراف بزعامه الرسول ورئاسته فضلاً عن نصبه وتعيينه، بل كانت لأجل التدليل على ذلك الاعتراف والتأكيد العمليَّ على الالتزام بلوازم الإيمان المسبق به صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ولذلك نجد النبيَّ الأكرم صلَّى الله عليه وآله وسلَّم كان يقول: "فإن آمنتم بي فبايعوني على أن تطيعوني، وتصلُّوا وتزكُّوا" (1). "وأن تدفعوا عنِّي العدوَّ حتَّى الموت (2)، ولا تفروا من الحرب" (3). وصفوة القول: أنَّ من يلاحظ هذه المضامين؛ يمكن أن يحس بأنَّ الهدف من البيعة لم يكن هو الاعتراف بمنصب المبايع وانتخابه وتعيينه لمقام الحكومة والولاية، بل هو ميثاق بين شخصين وهي تندرج تحت قوله سبحانه: (أَوْ فُؤَاوُاْ بِالْعُذُودِ) (المائدة: 1). وقوله سبحانه: (وَأَوْ فُؤَاوُاْ بِالْعُذُودِ إِنَّ الْعُذُودَ كَانَ مَسْئُورًا) (الإسراء: 34). فيجب العمل بمفادها ويحرم نقضها ونكثها. يقول الإمام أمير المؤمنين في الحث على الوفاء بالبيعة: "وأما حقِّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب و الإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم" (4). ومن مراجعة خطب الإمام عليٍّ - عليه السلام - وكلماته في نهج البلاغة، يتضح أنَّ _____ 1- صحيح البخاري: كتاب الإيمان، 2- مسند أحمد 4: 15، 3- مسند أحمد 3: 292، 4- نهج البلاغة: الخطبة (34).